

دروس من الهجرة

فى مساء يوم الثلاثاء ١٦ من المحرم ١٣٩٥ الموافق ٢٨ يناير ١٩٧٥

بسم الله الرحمن الرحيم

دروس من الهجرة

أيها المستمعون الكرام :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد فإنى أحمد إليكم الله الذى من علينا بالإسلام وأقام الأخوة فيما بيننا به ، وأصلى وأسلم على مولانا رسول الله الذى أرسله رحمة للعالمين وجعله أسوة للمتقين . وهدى به من الضلال وعصم به من الفتن ، وكمل به الأخلاق ما ظهر منها وما بطن ، ورضى الله تعالى عن آله الأطهار وصحابته الأخيار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، ورضى الله عن شيوخنا الأجلاء الذين أخذنا عنهم التربية الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة والجماعة .

ثم أشكر لمجلس إدارة الجمعية التعاونية للبتروول تفضله لالقاء هذه المحاضرة فى مناسبة حلول العام الهجرى الجديد ، وأخص بالشكر الأخ الفاضل الأستاذ أحمد غنيم عضو مجلس الإدارة على هذه الدعوة الكريمة التى أتاحت لى فرصة التحدث إليكم فى هذه المناسبة السعيدة ، وقد استحسنتم أن أحدثكم فى الدروس القيمة المستفادة من الأحداث التى سبقت أو لحقت الهجرة النبوية المباركة إلى المدينة المنورة على ساكنها أتم صلوات الله وسلامه .

أما بعد :

فقد جال تفكيرى فى تلك الهجرة النبوية العظيمة ، فوجدت الأحداث التى سبقتها والحوادث التى لحقتها تنطوى على دروس قيمة تنفعنا فى ديننا ودينانا ، فأثرت أن أنقل إليكم ما جال فيه فكرى للعبرة والاعتبار ، لأن الذكرى تنفع المؤمنين .

الدرس الأول

إن الإيمان أغلى ما نملك ؛ ذلك بأن السابقين الأولين من أسلافنا الصحابة الكرام رضى الله عنهم ، آثروا الله تعالى على كل شىء ، وتحملوا فى سبيل استمساكهم بعقيدتهم الشدائد الجسام والأخطار العظام ، فقد آذاهم كفار مكة وقاطعوهم وحصروهم فى شعب أبى طالب سنوات ، حتى جاعوا ، وحكى سيدنا سعد بن أبى وقاص أنه وجد ليلاً شيئاً طرياً فأكله ولم يدر ما هو حين أكله .

وسيدنا سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه من العشر المبشرين بالجنة ، وفى شأنه أنزل الله قوله تعالى : (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير * وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون)^١ . فقد جاء فى تفسير هذه الآية الكريمة : أنه

^١ الآيتان ١٤ و ١٥ من سورة لقمان

رضى الله عنه حين أسلم فى السابقين الأولين حلفت أمه (حمنة)
ألا تطعم ولا تشرب ولا تستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد
(عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم) فأبى سعد أن يستمع لها ، وصبرت
نفسها ثلاثة أيام ، لا تأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشى عليها ، فأتى
سيدنا سعد لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما كان من
أمرها ، فأنزل الله تعالى (وإن جاهدك . . .) فعمل سعد بقوله تعالى :
ولم يطعها ، بل قال لها : (والله لو كان لك مائة نفس فخرجت نفسا
نفسا ما كفرت بمحمد عليه السلام فإن شئت فكلى وإن شئت فلا تأكلى)
فلما رأته ذلك أكلت .

فأنظروا كيف آثر سيدنا سعد الله ورسوله على أمه التى حملته
ووضعت وأرضعته ، فقد أمرته أمه أن يكفر برسول الله فلم يطعها لأن
من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم فقد كفر بالله فقد قال تعالى :
(آمنوا بالله ورسوله ، . . .)^١ .

والمؤمنون بالله ورسوله هم حزب الله كما سماهم سبحانه وتعالى ،
وهم المفلحون ، كما نطق كتاب الله العظيم فى قوله الكريم (لا تجد قوما
يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا
آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان
وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها

^١ - الآية ٧ من سورة الحديد .

رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون^١ .

الدرس الثانى

قضية الإيمان والكفر قديمة جدا

إن قضية الإيمان والكفر قضية قديمة العهد جدا وكانت قائمة قبل ظهور الإسلام ، ودلنا كتاب الله على أنها ترجع فى تاريخها إلى زمن سيدنا نوح عليه السلام ، ولم يكن للكفر عهد قبله عليه السلام ، وقد ضاق عليه السلام ذرعا بالكافرين من عبدة الأوثان فى زمانه ، وسأل الله تعالى بعد أن يئس من إيمانهم أن يطهر الأرض منهم ، كما حكى الله عنه فى قوله تعالى فى سورة نوح : (إنا أرسلنا نوحا إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيتهم عذاب أليم * قال يا قوم إنى لكم نذير مبين * أن أعبدوا الله واتقوه وأطيعون * يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون * قال رب إنى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائى إلا فرارا * وإنى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغثوا ثيابهم أصرروا واستكبروا استكبارا * ثم إنى دعوتهم جهارا * ثم إنى أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا * فقلت استغفروا ربكم إنه غفار * يرسل السماء عليكم مدرارا * ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا * ما لكم لا ترجون لله

^١ - الآية ٢٢ من سورة المجادلة .

وقارا * وقد خلقكم أطوارا * ألم ترأى كيف خلق الله سبع سموات طباقا * وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا * والله أنبتكم من الأرض نباتا * ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا * والله جعل لكم الأرض بساطا * لتسلكوا منها سبلا فجاجا ، قال نوح رب إنهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلا خسارا * ومكروا مكرا كبارا* وقال لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا * وقد أضلوا كثيرا ولا تزد الظالمين إلا ضلالا * مما خبيئاتهم أغرفوا فادخلوا نارا ، فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا * وقال نوح رب لا تذرن على الأرض من الكافرين ديارا * إنك إن تذرم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا * رب أغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين إلا تبارا)^١ .

ولا يخفى على حضراتكم أن نوحا عليه السلام كان له ابن آثر الكفر على الإيمان فكان من المغرقيين كما حكى الله تعالى ذلك فى قوله الكريم (. . .) ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يابنى أركب معنا ولا تكن من الكافرين * قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقيين)^٢ .

وقد أراد سيدنا نوح عليه السلام أن يشفع لابنه بدافع الشفقة الأبوية . ولأنه تعالى أمره أن يجعل أهله معه فى السفينة ، وكان يظن أن

^١ - سورة نوح .
^٢ - الآيتان ٤٢ و ٤٣ من سورة هود

ابنه من أهله الناجين ، ويبدوا أن ابنه كان منافقا يظهر الإيمان ويبطن الكفر ، فبين الله له حقيقة كفره ، واقربوا فى ذلك قوله تعالى: فى سورة هود (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور قلنا أحمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه لقول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) ' وهذا ما استند إليه سيدنا نوح عليه السلام فى قوله الذى حكاه الله عنه (ونادى نوح ربه فقال رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين) ٢ فأجابه الله تعالى بقوله الكريم (قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين) ٣ وعند ذلك إستغفر نوح ربه فقال ما حكاه الله عنه (قال رب إنى أعوذ بك أن أسألك ما ليس لى به علم وإلا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين) ٤ فطمأنه الله تعالى بقوله الكريم (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم) ٥ .

وفى موقف سيدنا نوح عليه السلام من ابنه يكشف الله لنا عن حكمة بالغلة ، وهى أن الأنساب لا تنف مع قطع الأسباب ، فكفر الابن بالله تعالى حال بينه وبين الانتفاع من شفاعة أبيه ، مع أن أباه

١ الآية ٤٠ من سورة هود

٢ الآية ٤٥ من سورة هود

٣ الآية ٤٦ من سورة هود

٤ الآية ٤٧ من سورة هود

٥ الآية ٤٨ من سورة هود

من كبار المرسلين ، لأنه أحد أولى العزم من الرسل ، وهم خمسة ، جمعهم الشاعر فى قوله :

محمد إبراهيم موسى كلمه
فيعسى فنوح هم أولوا العزم فاعلم

وما أعجب أن يكون الأب رسولا كبيرا وأن يكون الابن كافرا
أثيما ، وما أعجب أن يقول فرعون (. . . أنا ربكم الأعلى)^١ وأن تقول
امراته (رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ونجنى
من القوم الظالمين)^٢ وذلك ما رفعها عند الله درجات ، فضرب الله بها المثل
للذين آمنوا ، كما ضرب لهم المثل بسيدتنا مريم عليها السلام . وفى حين
ارتفعت امرأة فرعون درجات ، هوت إلى دركات النار امرأة سيدنا نوح
عليه السلام ، وكذلك امرأة سيدنا لوط عليه السلام ، وذلك نأخذه من قوله
تعالى فى سورة التحريم (ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح
وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا
عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار من الداخلين * وضرب الله مثلا
للذين آمنوا امرأة فرعون (إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى
من فرعون وعمله ونجنى من القوم الظالمين * ومريم ابنة عمران التى
فرجا فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت
من القانتين)^٣ .

^١ آية ٢٤ من سورة النازعات

^٢ الآية ١١ من سورة التحريم

^٣ الآيات من ١٠-١٢ من سورة التحريم

ومن ذلك يتجلى فضل الله علينا إذ هدانا للإسلام وجعلنا من أمة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يقول سبحانه وتعالى لهذه الأمة المحمدية السعيدة فى سورة يونس (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون)^١ وفضل الله هو الإسلام ، ورحمته هى القرآن الكريم ، وذلك خير من متاع الدنيا الذى يجمعه أهل الكفر ويفرحون به وهو إلى نفاذ عاجلاً أو آجلاً ، وصدق سبحانه إذ يقول (ما عندكم ينفد وما عند الله باق . . .)^٢ وإذ يقول (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون)^٣.

ولو أننا رجعنا إلى ما قاله تعالى بعد أن سرد قصة سيدنا نوح عليه السلام فى سورة هود لوجدنا أنه جاء بعد سرد تلك القصة قوله الكريم مخاطباً صاحب الهجرة صلوات الله وسلامه عليه (تلك من أبناء الغيب نوحها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل فاصبر إن العاقبة للمتقين)^٤ ولو أننا ربطنا بين هذه الآية الكريمة وبين الآية التى سبقتها وهى قوله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم)^٥ لخرجنا بالنتائج الآتية : (١) أن المؤمنين الذين ركبوا السفينة مع سيدنا نوح عليه السلام وهم قلة كما قال تعال (وما آمن معه إلا قليل) - قيل كانوا ثمانين نصفهم

^١ الآية ٥٨ من سورة يونس

^٢ الآية ٩٦ من سورة النحل

^٣ آية ٦٤ من سورة العنكبوت

^٤ آية ٤٩ من سورة هود

^٥ آية ٤٨ من سورة هود

رجال ونصفهم نساء - والسادة المستمعون والمستمعات الآن لمحاضرتي يبلغون أضعافهم - وهم الأصل الثانى للبشر بعد سيدنا آدم عليه السلام ، ولذلك قيل عن سيدنا نوح إنه آدم الصغير وقيل ايضا أن اسمه عبد الغفار ولقبه نوح ، وقد جاء فى كتب التفسير أنه لم يعقب ممن كانوا معه إلا أولاده الثلاثة وهم : سام وهو أبو العرب ، وحام وهو أبو السودان ، ويافث وهو أبو ترك .

وقد انقسمت ذرية أولاد سيدنا نوح عليه السلام إلى (فريقين) فريق مؤمن وفريق كافر . وقوله تعالى (وأمم ممن معك) أى ناشئين ومتولدين من المؤمنين الذين ركبوا معك فى السفينة وآمنوا كأسلافهم ، وهؤلاء شملتهم البركات التى جاءت فى قوله تعالى (قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أُمم ممن معك) وأما قوله تعالى (وأمم سمنتهم ثم يمسهم منا عذاب ألِيم) فيشير إلى فريق الكافرين من ذرارى أصحاب السفينة إلى يوم القيامة ، ولذلك قال سيدى محمد بن كعب القرظى : دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة إلى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر .

ومما تقدم ترى أن الكفر لم يمت بموت أهله الأولين الذين أغرقهم الله بالطوفان استجابة لدعوة سيدنا نوح عليه السلام ، ولهذا ارسل الله الرسل الكرام بعد سيدنا نوح مبشرين ومنذرين ليحيا من حى عن بينة وحجة وليهلك من هلك عن بينة ، ولذلك يقول سبحانه فى سورة (المؤمنون) بعد أن سرد قصة سيدنا نوح عليه السلام (ثم أنشأنا من

بعدهم قرنا آخرين * فأرسلن فيهم رسولا منهم أن اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون * وقال الملا من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم فى الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل ما تأكلون منه ويشرب مما تشربون * ولئن أطعتم بشراً مثلكم إنكم إذا لخاسرون * أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون * هيهات هيهات لما توعدون * إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين * إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين * قال رب انصرنى^١ بما كذبون * قال عما قليل ليصبحن نادمين * فأخذتهم الصيحة بالحق فجعلناهم غثاء فبعدا للقوم الظالمين * ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين * ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون * ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمة رسولها كذبه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعدا للقوم لا يؤمنون * ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وساطان مبين * إلى فرعون ومائه فاستكبروا وكانوا قوما عالين * فقالوا أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون * فكذبوهما فكانوا من المهلكين * ولقد آتينا موسى الكتاب لعلمهم يهتدون * وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآييناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين * يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * و إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون * فتقطعوا أمرهم بينهم زبرا كل حزب بما لديهم فرحون * فذرهم فى غمرتهم حتى حين * أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين * نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون)^١ .

^١ من الآية ٣٢ إلى الآية ٥٦ من سورة المؤمنون .

أين هؤلاء الكفار الذين فرحوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها ،
وصموا آذانهم وعقولهم وقلوبهم عن دعوة الحق من المؤمنين المتقين
الذين استجابوا لله تعالى وللرسول صلى الله عليه وسلم ، قال سبحانه
فى وصفهم فى السورة ذاتها (: إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون *
والذين هم بآيات ربهم يؤمنون * والذين هم بربهم لا يشركون * والذين
يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون * أولئك يسارعون
فى الخيرات وهم لها سابقون)^١.

وانظروا كيف صور الله الذين أعرضوا عن دعوة رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الآيات الكريمة اللاحقة (بل قلوبهم فى غمرة
من هذا ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون * حتى إذا أخذنا
مترفيهم بالعذاب إذا هم يجأرون * لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون
* قد كانت آياتى تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون *
مستكبرين به

سأمرأ تهجرون * أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت
آباءهم الأولين * أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون * أم يقولون
به جنة بل جاءهم
أهواءهم لفسدت السموات
ذكرهم معرضون *
الرازقين * وإنك لتدعوهم
يؤمنون بالآخرة عن الصراط
بهم من ضرر للجبروا فى طغيانهم

^١ من الآية ٥٧ إلى الآية ٦١ من سورة المؤمنون

يعمّهون * ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون *
حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد إذا هم فيه مبلسون (١) .
وما أروع ما يذكر به الله تعالى على خلقه بعد ذلك من نعمة وآيات
قدرته وما يحذرهم به من تقليد غيرهم حين قال سبحانه : (وهو الذى
أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون * وهو الذى
ذراكم فى الأرض وإليه تحشرون * وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف
الليل والنهار أفلا تعقلون * بل قالوا مثل ما قال الأولون * قالوا إذا
متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون * لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا
من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين * قل لمن الأرض ومن فيها إن
كنتم تعلمون * سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع
 ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تتقون * قل من بيده
ملكوت كل شئ وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون * سيقولون
لله قل فأنى تسحرون * بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون * ما اتخذ الله
من ولد وما كان معه من إله إن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم
على بعض سبحانه الله عما يصفون * عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون (٢) .

^١ من الآية ٦٣ إلى ٧٧ من سورة المؤمنون .
^٢ من الآية ٧٨ إلى الآية ٩٢ من سورة المؤمنون .

ويتبين لنا فى الآيات الكريمة السابقة أن الله تعالى عاب على كفار مكة أمورا خمسة هى :

(ا) أنهم كانوا يعرضون عن الاستماع إلى آيات القرآن الكريم ، وهو الكتاب المعجز الذى تحدى ولزال يتحدى الأنس والجن على أن يأتوا بسورة واحدة مثله ، ولو كانت أقصر سورة فعجزوا مع فصاحتهم عند نزول القرآن وما زالوا عاجزين مع توالى القرون .

(ب) إنهم رأوا رسالته صلى الله عليه وسلم أمرا غريبا ، كأنهم لم يسمعوا برسالات المرسلين قبله صلى الله عليه وسلم ، مع أنهم سمعوا بالتواتر بتلك الرسالات .

(ج) أنهم أنكروا رسولهم كأنهم لم يعرفوه من قبل مع أنهم عرفوه حق المعرفة ، وكانوا يلقبونه فى نشأته بالصادق الأمين ، صلى الله عليه وسلم ، فمن العجب العاجب أن يكذبوه بعد ذلك بالباطل .

(د) أنهم نسبوا إليه الجنون كذبا وبهتاننا مع أنه أعقل العقلاء فى البشر أجمعين صلى الله عليه وسلم .

(هـ) أنهم لم يتبعوا دعوة الحق التى دعاهم إليها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه لم يسألهم أجرا يغرمنه على هذه الدعوة حتى يشكوا فيها ، ولا عذر لهم فى هذا الشك .

وقد طاولهم الله تعالى وأمهلهم ودعاهم إلى التفكير السليم فى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم ، ورسم لهم طريقه بقوله تعالى فى سورة سبأ (قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم

من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد)^١ وإنما دعاهم سبحانه للتفكير مثنى وفرادى ليجنبهم تشويش الخواطر الذي يقع بين الجمع الكثير إذ يتعصب كل لرأيه ، ولكن التفكير الهادئ بين المرء ونفسه أو بينه وبين صاحبه من غير تعصب إلى التقليد الأعمى يؤدي غالباً إلى سلامة الفكرة ، فلو أن أحدهم سأل نفسه بأمانة : هل هذا الرسول مجنون حقا كما يقول قومي ؟ لكان الجواب : لا إنه أعقل قريش ، بل أعقل العرب ، بل أعقل الناس . ولو سأل نفسه : هل جربنا عليه كذبا في ماضى حياته ؟ لكان الجواب : لا ، إنما كنا نصفه بما فيه ، ولقبناه بالصادق الأمين . ولو سأل نفسه : هل عهدنا في خلقه الخيانة ؟ لكان الجواب : لا إن قومنا وثقوا في أمانته واستودعوه أماناتهم لثقتهم في طهارة ذمته . ولو سأل نفسه : هل طلب على هدايتنا أجرا يثقل علينا أداؤه ؟ لكان الجواب : لا ، إنه لا يسأل الناس شيئا قليلا أو كثيرا . ولو سأل نفسه : هل أستطيع مع فصاحتي وبلاغتي أن آتى بمثل القرآن الذي يتلوه ؟ لكان الجواب لا أستطيع ولا يستطيع غيري أن يأتى بمثله أو بعشر سور مفتريات مثله أو بسورة واحده مثله . إذن فهو رسول الله حقا ، يدعوني إلى صراط مستقيم ، فوجب على اتباعه .

وهذا التفكير الهادئ السليم الذي لا يتقيد بتقليد الآباء والأجداد هو الذي به أسلافنا الأولون من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم

^١ الآية ٤٦ من سورة سبأ

أجمعين ، يدلنا على ذلك ما قاله سيدنا جعفر بن أبى طالب وكان على رأس الهجرة الأولى للحبشة وقد كانت فى السنة الخامسة من بعثته صلى الله عليه وسلم ، أما الهجرة الثانية للمدينة المنورة فكانت فى السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية المباركة . وقد جاء فى كلام سيدنا جعفر بن أبى طالب رضى اله عنه ما يأتى :

سألهم النجاشي : أنصاري أنتم ؟ قالوا : لا

فقال : أيهود أنتم ؟ قالوا : لا

قال : فعلى دين قومكم ؟ قالوا : لا

قال : فما دينكم ؟ قالوا : الإسلام

قال : وما الإسلام ؟ قالوا نعبد الله ولا نشرك به شيئاً

قال : من جاءكم بهذا ؟

قالوا جاء به رجل من أنفسنا ، قد عرفنا وجهه ونسبه . بعثه الله إلينا كما بعث الرسل إلى من قبلنا ، فأمرنا بالبر والصدقة ، والوفاء ، وأداء الأمانة ، ونهانا أن نعبد الأوثان ، وأمرنا بعبادة الله وحده لا شريك له ، فصدقناه وعرفنا كلام الله ، وعلمنا أن الذى جاء به من عند الله فلما فعلنا . ذلك عادانا قومنا وعادوا النبى الصادق ، وكذبوه وأرادوا قتله ، وأرادونا على عبادة الأوثان ، ففرونا إليك بديننا ودمائنا من قومنا .

وقد آمن النجاشى رحمة الله ، وصلى عليه عند موته مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم أول صلاة غائب صليت فى الإسلام . وقد ورد فى

الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصفهم وكبر أربع تكبيرات . وروى الإمام البخاري عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات النجاشي : مات اليوم رجل صالح . فقوموا فصلوا على أخيكم .
أيها الأحباب .

ان الإسلام دعانا إليه صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم وهو دين الله وهو دين الأنبياء والمرسلين قبله . والقرآن الكريم علمنا ذلك بما قرره في شأنهم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين . فمثلا قال تعالى في شأن سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام في سورة البقرة (ومن يرغب على ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنية ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)^١ . وقال سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام (رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليى فى الدنيا والآخرة توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين)^٢ . وقال تعالى فى شأن سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام فى سورة يونس (وقال موسى

١ - من الآية ١٣٠ إلى الآية ١٣٢ من سورة البقرة .

٢ - الآية ١٠١ من سورة يوسف

يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين)^١ . وقال سحرة
فرعون (. . . ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين)^٢ . وقالت بلقيس
ملكة سبأ (. . . رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين)^٣ .
وقال تعالى فى شأن الحواريين وهم أنصار سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام
(وإذ أوحيت ألى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا وأشهد بأننا
مسلمون)^٤ . وقال تعالى فى شأن صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم
(قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين * لا شريك له وبذلك أمرت
وأنا أول المسلمين)^٥ . واجتماع الرسالات السماوية على دين
الإسلام وإن اختلفت الشرائع يفسر لنا الحديث الثابت عن صاحب
الهجرة صلى الله عليه وسلم والذى يقول فيه : (نحن معاشر الأنبياء أولاد
علات وديننا واحد والدين الواحد هو توحيد الله وعبادته وحده
لا شريك له . وأولاد علات معناها أنهم أخوة من أمهات شتى
وأب واحد .

أيها الأعزاء :

لا تظنوا أنى أظلت الكلام عبثا فى درس الهجرة الأول وهو التمسك
بالإيمان والفرح به والتضحية فى سبيله ، مع أنى ألقى محاضرتى على مؤمنين

١ - الآية ٨٣ من سورة يونس .

٢ - الآية ١٢٦ من سورة الأعراف .

٣ - الآية ٤٤ من سورة النمل .

٤ - الآية ١١١ من سورة المائدة .

٥ - من الآيتان ١٦٢ و١٦٣ من سورة الأنعام .

مقتنعين بما أحدثهم فيه ، فقد أطلت لحكمة قد تخفى على بعض المسلمين وهي أن البلاد الإسلامية تتعرض في أيامنا هذه لغزو فكري يدعو شبابنا وفتياتنا الناشئين والناشئات إلى الكفر بجدة أن الدين هو أفيون الشعوب وكثير من صغارنا يتعرضون لخطر فساد العقيدة . وهذا الغزو الفكري أخطر وأضر من الغزو العسكري ، لأن الغزو العسكري يكون علانية ويفرض على أبناء الوطن الدفاع عن وطنهم بكل ما يملكون ، وأما الغزو الفكري فإنه يسمم العقول خفية فتضل عن سواء السبيل تحت ستار حرية الفكر واستقلال الناشئ برأيه بعيدا عن رأى أبيه وأمه لأنهما من جيل آخر قديم ومغاير للجيل العصري الحديث .

أيها الأحباب :

إن امتناع الكافرين عن الإيمان شر لا شك فيه ، غير أن كفر الشاب المؤمن في البلاد الإسلامية تحت بصر أبيه وأمه وحاكمه ومربيه إنما هو أضل سبيلا من بقاء الكافر على كفره ، وحماية العقيدة الصحيحة واجب هؤلاء الولاة القائمين على الناشئين والناشئات ، والعجب أن يعتنق شباب المسلمين بل وشيوخهم غير الإسلام ، ولا تهتم بلاد المسلمين بهذا الشر المستطير ، فكيف نسكت على الغزو الفكري حتى نصل به نارا في الدنيا والآخرة .

إن واجب البلاد الإسلامية كلها أن تتيقظ لهذا الخطر قبل أن يستطير شره ، ونندم حيث لا ينفع الندم ، وقد نبهنا من قديم صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم قال : (ستكون فتن كقطع الليل المظلم

يصبح الرجل مؤمنا ويمسى كافرا ، ويمسى مؤمنا ويصبح كافرا ، يبيع دينه بعرض الدنيا) . وكذلك علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المخرج من هذه الفتن هو التمسك بالكتاب والسنة ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : (وقد تركت فيكم ما أن تمسكتم به لم تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنتي) . كما بين لنا صلى الله عليه وسلم أن اليهود انقسمت إلى سبعين فرقة ، وأن أمة النصارى انقسمت إلى إحدى وسبعين فرقة ، وأعلمنا أن أمته صلى الله عليه وسلم ستقسم إلى ثلاثة وسبعين فرقة ، اثنتان وسبعين في النار وواحدة في الجنة ، فلما سئبل عن الناجية صلى الله عليه وسلم قال : ما أنا عليه وأصحابي) . فلنتمسك بما كان عليه هو وأصحابه من الحق والصراط المستقيم .

أيها الأعزاء :

إن الناشئة أمانة في أعناقنا لأننا أولياء أمورهم ، وقد خاطبنا سبحانه صراحة في شأن أهلينا ، فقال تعالى في سورة التحريم : (يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون)¹ وهو أمر صريح يأمرنا الله تعالى به لتأسى بمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم في فعل الطاعت وترك المعاصي ، وأن نرعى أهلينا من النساء والأولاد وكل من في كفالتنا بالنصح والتأديب والتهديب حتى

¹ - الآية ٦ من سورة التحريم .

يبلغون رشدهم على صحة فى العقيدة والعبادات ، فالرجل منا راع فى بيته
ومسئول عن رعيته كما جاء فى الحديث الشريف .
أيها الأحباب :

لقد علمنا الله سبحانه فى القصص القرآنى كيف ينصح الوالد ابنه ،
وذلك فيما حكاه سبحانه إلينا فى شأن سيدنا لقمان عليه السلام ، وذلك
فى قوله تعالى فى سورة لقمان : (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى
لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)^١ وهذه النصيحة خاصة بعقيدة
التوحيد التى أحب أن ينشأ ابنه عليها ، وكذلك فى قوله تعالى : (يابنى
إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات
أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير * يا بنى أقم الصلاة
وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من
عزم الأمور * ولا تصعر خدك للناس ولا تمش فى الأرض مرحاً
إن الله لا يحب كل مختال فخور * واقصد فى مشيك واغضض من
صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير)^٢ . فأرشده إلى مراقبة الله
الذى لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء ، وأن يأمر غيره
بالمعروف وينهاه عن المنكر فينفع المسلمين . ثم وجهه إلى التحلى بالصبر
الجميل على المكاره فى سبيل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ،
وكذلك على ما يصيبه من المكاره فى حياته من المرض وغيره ، وبين له

^١ - الآية ١٣ من سورة لقمان .
^٢ - الآيات من ١٦ - ١٩ من سورة لقمان

أن ذلك من عزم الأمور أى مما أَلزَمنا الله به ، ولم يرخص لنا فى تركه .
ثم نهاه عن الكبر والإسراع فى المشى ورفع الصوت فى الكلام ، فدعاه
إلى التواضع والوقار وخفض الصوت ، وكلها من مكارم الأخلاق .

أَيها الأَعزاء :

يجب علينا أن ننبه أبناءنا إلى ما حاوله ويحاوله أعداء الإسلام
من تكفير المسلمين ، وهو ما حذرنا الله تعالى منه بمثل قوله تعالى
فى سورة آل عمران : (يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين
أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين * وكيف تكفرون وأنتم
تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى
إلى صراط مستقيم)^١ . وبمثل قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن
تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين)^٢ وبمثل
قوله تعالى فى سورة البقرة : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم
عن دينكم إن استطاعوا ، ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر
فأولئك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار
هم فيها خالدون)^٣ . وبمثل قوله تعالى فى سورة الأنعام : (وإن تطع أكثر

^١ - الأيتان . ١٠٠ ، ١٠١ من سورة آل عمران .

^٢ - الآية ١٤٩ من سورة آل عمران .

^٣ - الآية ٢١٧ من سورة البقرة .

من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم
إلا يخرصون) ^١ .

وكذلك ننبه أبناءنا إلى ما نبهنا الله تعالى إليه من التمسك بعقيدتنا
وإسلامنا اطمئناناً إلى كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وفيها نجاتنا من الضلال ، وذلك فى قوله تعالى فى سورة
آل عمران : (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله
ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم) ^٢ .

أيها الأحباب :

أكتفى بهذا القدر فى كلامى عن الدرس الثانى ، وإن بقى لدى كلام
كثير ، وليكن القليل الذى قلته إشارة لأولى الأبواب الذين تغنيهم
الإشارة عن العبارة .

الدرس الثالث

اختيار أمناء السر

فقد دلنا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعله على أن نحسن
اختيار أمناء السر فيمن نختارهم لعظائم الأمور . فعندما أوحى الله لرسوله
صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فى سورة الأنفال : (وإذ يمكر بك الذين

^١ الآية ١١٦ من سورة الأنعام .
^٢ الآية ١٠١ من سورة آل عمران

كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير
الماكرين)^٢ اختار رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام علياً
لرد الودائع لأصحابها حيث كان أهل مكة يأتونونه على نفائسهم .
فأمره صلى الله عليه وسلم أن يستجى ببرده الحضرمي الأخضر ، وينام
فى فراشه وقال له : تسج فى بردى هذا الحضرمي الأخضر ونم فى فراشى
فإنه لا يصيبك منهم شئ ، وقد نفذ الإمام على كرم الله وجهه أمر
الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم ، وقال كرم الله وجهه :
فديت بنفسى خير من وطئ الثرى .

ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

وكذلك اختار صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم سيدنا أبا بكر
الصديق لصحبته فى الهجرة ، وحين كاشفه بأمر الهجرة تمنى فى نفسه أن
يصحب مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال له : (فالصحة
يا رسول الله ، فأجابه صلى الله عليه وسلم : (فالصحة) فبكى سيدنا
أبو بكر رضى الله عنه سروراً بصحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وتقول السيدة عائشة رضى الله عنها حين رأت أباها يبكى : ما كنت
أحسب أحداً يبكى من الفرح حتى رأيت أبى يبكى من الفرح حين
أذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصحة .

^٢ الآية ٣٠ من سورة الأنفال

الدرس الرابع

الوفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لقد أَرانا سيدنا الجليلان أبو بكر وعلى رضى الله عنهما كيف يكون الوفاء لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن سيدنا عليا نام فى فراشه وفداه بنفسه فقد عرض نفسه للقتل ولكن الله حماه من الكافرين ببركة رسولا الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك خاف سيدنا أبو بكر رضى الله عنه أن يصيب الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال حين رآهم عند غار ثور : يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا ، فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تحزن إن الله معنا) يا أبا بكر : ما ظنك بأثنين الله ثالثهما ؟ فقال سيدنا أبو بكر رضى الله عنه فى رثده الكامل يا رسول الله ، إذا مت أنا ، فأنا رجل واحد ، وإذا مت أنت هلكت الأمة والدين ، أما والله ما على نفسى أئـل (أى أحزن) ولكن مخافة أن أرى فيك ما أكره . وكذلك كان رضى الله عنه فى الطريق إلى المدينة يتقدم لناقته ناقته رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتأخر عنها حيناً ، فسأله مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بكر أراك تتقدمنى حيناً وتتأخر عنى حيناً ، فأجاب رضى الله عنه : يا رسول الله أذكر الرصد فأتقدم لأفديك ، وأذكر الطلب فأتأخر لأفديك .

فانظروا إلى هذا الوفاء الخالص لله تعالى ، وانظروا كيف فضلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفوسهم كما أحب الله أن يكون ، فقد فضله الله تعالى على أنفسنا بقوله تعالى فى سورة الأحزاب (النبى أولى

بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم^١) ويقول له تعالى فى التوبة
(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول
الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب
ولا مخمصة فى سبيل الله ولا يطأون موطنًا يغيظ الكفار ولا ينالون من
عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين *
ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون وأديا إلا كتب لهم
ليجزئهم الله أحسن ما كانوا يعملون)^٢ .

أيها الأحزاب :

من هذه النصوص القرآنية الشريفة نرى أن الله تعالى ألزم المؤمنين
أن يفضلوه صلى الله عليه وسلم على نفوسهم ، وهى منزلة خاصة به صلى
الله عليه وسلم ، لا تكون لغيره حتى للوالدين وهما أقرب الناس
للمؤمن .

أيها الأحزاب :

رأيتم أمثلة الوفاء من المهاجرين . رضى الله عنهم . لرسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فلننظر كيف كان وفاء الأنصار . رضى الله عنهم . فقد
روى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن الأنصار

^١ - من الآية ٦ من سورة الأحزاب .
^٢ الآيتان ١٢٠ و ١٢١ من سورة التوبة .

قالوا فى شأن بيعة العقبة الثانية : . . أئتمرنا جميعا فقلنا حتى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم يطوف ويتردد فى جبال مكة ويخاف ، فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا عليه فى الموسم ، فواعدناه شعب العقبة فأجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافقنا فقلنا : يا رسول الله ، علام نبايعك ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : تبايعونى على السمع والطاعة ، فى النشاط والكسل ، والعسر واليسر ، وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وأن تقولوا فى الله لا تخافوا لومة لائم ، وعلى أن تنصرونى فتمنعونى إذا قدمت عليكم مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة .

قالوا : فقمنا إليه فبايعناه ، وأخذ بيده أسعد بن زرارة ، وهو من أصغرهم ، فقال : رويدا يا أهل يثرب (أى المدينة) فإننا لم نضرب إليه أكباد الأبل إلا ونحن نعلم أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن إخراجهم اليوم مناواة للعرب كافة ، وقتل خياركم وأن تعضكم السيوف ، فإما أنتم قوم تصبرون على ذلك فخذوه وأجركم على الله ، وإما أنتم قوم تخافون على أنفسكم خيفة فذروه ، فبينوا ذلك ، فهو أعذر لكم عند الله .

قالوا : أمط عنا يا أسعد فوالله لا تدع هذه البيعة ولا نسلبها أبدا ، قالوا ، فقمنا إليه وبايعناه ، وأخذ علينا وشرط ويعطينا على ذلك الجنة . وقبل أن يمد القوم أيديهم للبيعة ، قال أبو الهيثم بن النبهان رضى الله عنه والقوم متأهبون للبيعة : يا رسول الله ، إن بيننا وبين الرجال

حبالا وإنما قاطعوها ، فهل عسيت إن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا .

قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : بل الدم الدم ، والهدم الهدم ، أنا منكم وأنتم منى أسالم من سالمتم وأحارب من حاربتكم . فانظروا كيف حرصوا على أن يبقى بينهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسعدوا بإقامته في المدينة ، وانظروا كيف قابل صلى الله عليه وسلم وفاءهم بوفائه ، وحبهم بحبه ، وإخلاصهم بإخلاصه .

الدرس الخامس

إخلاص النية لله

إذ لم يكن لسادتنا المهاجرين والأنصار في نصره الإسلام على الكفر إلا مرضاة الله عز وجل بالجهاد في سبيله سبحانه ، وشهد الله بصدقهم في نيتهم في مواضع كثيرة في قوله تعالى في سورة الأنفال (إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض)^١ وصدق مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى

^١ - من الآية ٧٢ من سورة الأنفال .

ما هاجر إليه ، وما أروع ما يقول العارفون من السادة الصوفية : النية عبودية القلب والأعمال عبودية الجوارح .

ومن ذلك نرى أن إخلاص النية لله فى كل عمل هو المؤدى إلى قبول الله للعمل ، وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول (ألا لله الدين الخالص) وقد أخلص ساداتنا المهاجرين والأنصار فسعدوا بالإيمان الحق فى دنياهم وبالمغفرة والرزق الكريم فى الآخرة كما قال تعالى فى سورة الأنفال (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم)^١ .

الدرس السادس

وحدة المسلمين

عندما هاجر مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة المنورة آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار فكان صلى الله عليه وسلم يقول فلان المهاجر أخو فلان الأنصارى ، وكان تطبيقا عمليا لقوله تعالى (إنما المؤمنون إخوة) وحين دس اليهود . عليهم اللعنة - بين المسلمين من الأوس والخزرج استغلالا لما كان بينهم فى الجاهلية ، فتشاجروا وتضاربوا بوقیعة اليهود وعلم مولانا رسول الله بذلك ، أسرع إليهم ونصحهم فتصافحوا وتعانقوا . وأنزل الله تعالى فى ذلك قوله

^١ - الآية ٧٤ من سورة الأنفال .

الكريم فى سورة آل عمران (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته
إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم
آياته لعلكم تهتدون)^١ .

ومما تقدم يتبين أن الأخوة فى الله تعالى قامت بين المسلمين على يد
مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأمر الله تعالى ، وكان للإسلام
بهذه الأخوة قوة هزموا بها مشركى العرب ، ثم اليهود الذين كانوا بالمدينة
من بنى قريظة والنضير وبنى المصطلق ، ثم الكافرين الذين كانوا على حدود
الوطن الإسلامى ، كما هو معروف فى التاريخ .

ويشيد بفضل هذه الأخوة التى أقامها مولانا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بين المسلمين الأوائل من المهاجرين والأنصار السيد / دل محمد
الباكستانى والعميد السابق للكلية الإسلامية بلاهور جزاه الله خيرا ،
فيما ترجمه عنه صديق العلامة الشيخ الصاوى شعلان . مد الله فى عمره ،
فيقول :

غرس الأخوة أصله من يثرب	هى جنة المأوى وغارسها النبى
إن ضلت الدنيا أعاد صوابها	نور المدينة لاشعاع الكوكب
بعث النبى بها الجماعة موكبا	فإذا الملائك فى صفوف الكوكب
وسقى الأخوة كوثرًا من نوره	فالظامئ الحيران من لم يشرب

* * *

^١ - الآية ١٠٣ من سورة آل عمران .

والسابقون الأولون لحيه
لم يذكروا مالا ولا ولدا ولا
تركوا جوار الظالمين فبدلوا
يا فوز أحرار العقائد عندما
فإذا الجميع مهاجرون لجنة
قد خلقوا الأوطان والأوطارا
زوجا ولا أهلا ولا أصهارها
بالأهل أهلا والديار ديارا
أهدى إله إليهم الأبرار
ونرى الجميع لدينه أنصارا

قال النبي لقد بنيت إزاءكم
فإذا تفرقتم تبدد عقدكم
نار العداوة من عذاب جهنم
ووصيتي أن تحفظوا بنياني
كتفرق الحصباء فى الميدان
وحمى التآخى جنة الرضوان

جعلوا الإخاء قرابة موصولة
فأعجب لمن يعطيك آخر قوته
ويموت ظمأنا ليروى ظمأنا
وترى كنوز العالمين كلاهما
من دونها أمس القريب بعيداً
مستخفياً كى لا يهين الجودا
لك فى ازدياد إن أردت مزيدا
لك فى ازدياد إن أردت مزيدا

الدرس السابع

الإيثار على النفس

وهو فى الأبيات الأخيرة يشيد بالإيثار الذى تحلى به سادتنا الأنصار حين انفقوا على أخوانهم
المهاجرين وبلغوا فى سخائهم وضيافتهم إلى

إيثارهم المهاجرين على أنفسهم وشهد الله تعالى لهم بهذا الإيثار فى قوله تعالى فى سورة الحشر (والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)^١ ونحن نباهى كل الأمم قديما وحديثا بهذا الإيثار الذى سبقناهم به وعلونا به فوق رؤسهم ولن يبلغوا أفضه العالى أبدا مع أنانيتهم التى نراها رأى العين حتى فى الأسرة الواحدة .

ويذكر المهاجرون للانصار فضلهم . فقد روى الإمام أحمد رضى الله عنه أن المهاجرين قالوا : (يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ، ولا أحسن بذلا من كثيرا ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنة حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله ، قال : لا ، ما أثبتتم عليهم ودعوتم الله لهم) .

ويعلمنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نكافئ من أحسن إلينا بالدعاء والثناء ، وقد ورد فى حديث قدسى (عبدى لم تشكرنى ما لم تشكر من أجرىته النعمة لك على يديه) وقد رأيت فى تفسير قوله تعالى (أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير) أن من دعا لوالديه عقب الصلاة فقد شكر لهما .

^١ الآية ٩ من سورة الحشر

الدرس الثامن

البر بأسلافنا

أسلافنا الصالحون من المهاجرين والأنصار لهم فى أعناقنا جميل كبير
يوجب علينا أن ندعو لهم به ، فقد صانوا عقيدتنا بجهادهم وتضحياتهم
بالنفس والمال حتى وصلت إلينا وسعدنا بها ، وقد ذكر الله تعالى المهاجرين
والأنصار بفضلهم فى سورة الحشر فقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين
أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا
وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوأوا الداروالإيمان
من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا
ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك
هم المفلحون) اسمى سبحانه المهاجرين (الصادقين) وسمى الأنصار
(المفلحين) ثم جاء بعد هاتين الآيتين قوله تعالى (والذين جاءوا من بعدهم
يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى
قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم) . ودخل فى ذلك القول
الكريم كل الأجيال اللاحقة إلى يوم القيامة ودخلنا بنعمة الله معهم ،
وما أسعدنا بالإسلام الذى أقام الأخوة بيننا وبين المهاجرين والأنصار
ونحن نحبههم بحب الله ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : (أنت مع من أحببت) وما أشرفنا
بهذه المعية .

^١ الآيات ٨، ١٠ من سورة الحشر .

الدرس التاسع

لا شعوبية فى الإسلام

وكذلك ترجم صديقى العلامة الشيخ الصاوى شعلان قول الفيلسوف والشاعر الباكستانى الكبير السيد / محمد إقبال طيب الله ثراه قوله فى الوحدة الإسلامية :

الصين لنا والهند لنا	والعرب لنا والكل لنا
أضحى الإسلام لنا ديننا	وجميع الكون لنا وطننا
توحيد الله لنا نور	أعدنا الروح له سكنا
بنيت فى الأرض معابدنا	والبيت الأول كعبتنا
وآذان المسلم كان له	فى الغرب صدى من همتنا
إن اسم محمد الهادى	روح الآمال لنهضتنا

أيها الأحباب :

إن الإسلام دين الجميع وأمة الإسلام أمة واحدة لا فرق فيها بين عرب وعجم . فقد قال صلى الله عليه وسلم : " سلمان منا آل البيت " مع أن سلمان رضى الله عنه فارسى لا يمت له صلى الله عليه وسلم إلا بصلة الإسلام ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فى شأن سيدنا سلمان الفارسى حين قال المهاجرون عند حفر الخندق . سلمان منا ، وقال الأنصار : بل سلمان منا ، فعندها قال صلى الله عليه وسلم " سلمان منا آل البيت " فالحقه بخاصة أهله الأطهار .

والإسلام قام أول ما قام فى الجزيرة العربية ، وكانت عندما قام الاسلام بلاد العصبية القبلية فنهى الاسلام عن العصبية ، وعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما علمنا : " لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى " .
وكم ظهر للمسلمين أئمة من غير العرب ، وكم علموا وعلموا ، وكم رشدوا وأرشدوا ، ويكفيينا أن نضرب المثل بالإمام الجليل أبى حنيفة النعمان وهو أحد أئمة الفقه الأربعة المجتهدين الذين تقلدهم الأمة فى العبادات والمعاملات . وقد كان للمسلمين من غير العرب عناية بتعلم اللغة العربية باعتبارها لغة الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة ، وكانت اللغة العربية سبيل التفاهم والمخاطبة بين العرب والعجم ، ثم عمل المستعمرون لبلاد الاسلام على نشر لغاتهم الأوربية فى بلاد الإسلام وقطعوا أوصال البلاد الإسلامية وحالوا بين غير العرب وبين تعلم اللغة العربية فتباعد المسلمون ثم تنافروا ثم تقاطعوا بل وقاتل بعضهم بعضا بدسائس أعدائهم .

وما كاد المسلمون ينفضون عنهم عار الاستعمار بعد جهاد مريير وتضحيات كبيرة حتى مكن أعداء المسلمين لليهود فى بلادنا وشردوا أهلنا من ديارهم لصالح اليهود ، وجعلوا الحق باطلا والباطل حقا ، فكان ذلك البلاء سببا فى وحدة صف المسلمين فى الحرب والسلام ، فكانت الوحدة بين العرب أولا ثم بين العرب وغيرهم ثانيا ، وسبحان من إذا شاء قلب المحن منا . وكم سرنا أن تقوم مؤتمرات القمة بين رؤساء المسلمين بين

آن وآخر من عرب وعجم . وقد أثمر بجمد الله اتحاد الكلمة ثمرته وهز
المشارك والمغارب وحسب حسابه كل حاسب (وما النصر إلا من
عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم
فينقلبوا خائبين)^١

أيها الأحباب

" وأنى فى هذه المناسبة أدعو غير العرب من المسلمين إلى تعليم ناشئتهم
اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والسنة ، لأنى أرى أن الجهل باللغة
العربية نوع من الأمية . وكذا أدعوا البلاد العربية أن تعاونهم بكل
ما أستطاعت فى هذا الشأن ، وإذا كان أحدنا يعتز بتعلم لغة أجنبية
فأولى بالمسلم أن يعتز بتعلم اللغة العربية ، وأدعوا إلى تعاون المسلمين
فى كل المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية . وقد علمنا مولانا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتماسك فى مجابهة الأعداء ، وحذرنا
من الضعف والتفكك . وذلك فى قوله صلى الله عليه وسلم " الجماعة رحمة
والفرقة عذاب ، ويد الله مع الجماعة ، وفى قوله صلى الله عليه وسلم :
" يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، وقالوا :
ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ، قال : لابل كثير ولكنهم غثاء ، كغثاء السيل
." .

^١ - الآيتان ١٢٦ و ١٢٧ من سورة آل عمران .

أيها الأعداء

إن أسلافنا من المهاجرين والأنصار كانوا قلّة في العدد ولكنهم بالاتحاد الجاد في ظواهرهم وبواطنهم كانوا قوة حمت بيضة الدين وقوضت عرش كسرى وقيصر وثبتت دين الله في الأرض ولو كره الكافرون والمشركون . وانظروا نظرة اعتبار وتدبر في قرار الطاقة الذي هز كيان البلاد الصناعية بأسرها ، كم أزعج الأعداء ، وكم سر الأصدقاء .

أيها الأعداء

إن الحج في كل عام هو مؤتمر إسلامي شامل بين الشعوب الإسلامية المختلفة من جميع الأجناس واللغات ، إن الله تعالى يعلمنا بيوم عرفة اجتماع الصف والكلمة ، واتحاد القلوب والأرواح . إن الحج ألفة بين الحاكم والمحكوم والتابع والمتبوع ، والغنى والفقير ، والقوى والضعيف ، والكبير والصغير ، إنه فرصة سنوية سانحة للتعارف والتآلف بين أصحاب الحكم والسلطان على ما فيه صلاح الإسلام والمسلمين ، وسبحان ربى القائل لسيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام (وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم)^١ قال المفسرون فى معنى منافع أى منافع دينية أو دنيوية ، ولا شك أن المنافع العامة للمسلمين فى جلب خير أو دفع شر أجدى عليهم من المنافع الفردية التى ينتفع بها بعض الأشخاص دون غيرهم

^١ - الآية ٢٧ من سورة الحج .

ومن فضل الله على المسلمين أن وسائل المواصلات فى زمننا قد قربت البعيد ، كما أن وسائل الاتصال الحديثة قد يسرت سرعة التفاهم مع بعد المسافات ، فإن لم يتيسر للرؤساء الالتقاء فى الحج أمكنهم الالتقاء أو التفاهم فى الأوقات الأخرى عندما يجد الجد ويدعو الموقف إلى الاتفاق على شئ سريع . وحد الله الكلمة بين المسلمين وكان فى عون رؤسائهم أجمعين .

الدرس العاشر

الصبر الجميل

دعا مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وبشر المؤمنين وأنذر الكافرين والمشركين ، وصبر صبرا جميلا ثلاثة عشر عاما قبل الهجرة من مكة إلى المدينة . وتحمل هو وأصحابه المهاجرين أذى كثيرا ، وهاجر أوائل المهاجرين إلى الحبشة فرارا بدينهم امتثالا لأمره صلى الله عليه وسلم . وتغنى حاديهم بشاعرهم . فقال وهم خارجون من مكة فى طريقهم إلى الحبشة :

الأهل والأوطان	فراقهم	صعب
لكنه	الإيمان	فداؤه
والروح والأبدان	فليقبل	الرب
	فليقبل	الرب

وهاجر أواخر المهاجرين إلى المدينة المنورة ليلحقوا برسول الله

صلى الله عليه وسلم ويأمنوا فى دار الهجرة على دينهم ، وصبروا على مشقات الهجرة وتضحياتهم . وكان صبرهم لله تعالى ، ففارقوا وطنهم وأهليهم وأموالهم فى سبيل الله تعالى ليقينهم أن الآخرة خير من الأولى وان ما عند الناس يفنى وما عند الله يبقى .

وامتحن الله تعالى المهاجرين والأنصار بالحروب التى دافعوا بها عن الإسلام فصبروا كذلك على مشقات الحروب ومكارهها ، إعزازا لدين الله وانتصارا له ، واسترخصوا أرواحهم وأموالهم فى سبيل الله متعظين بقوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو كره لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)^١ وقوله تعالى فى سورة التوبة (يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذ قيل لكم انفروا فى سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة إلا قليل * إلا تنفروا يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضره شيئا والله على كل شئ قدير * إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى أثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى ، وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم * أنفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون)^٢ .

وقد علم الله المؤمنين الشجاعة فى الحرب وبشرهم بسعادة الشهداء ،

^١ - الآية ٢١٦ من سورة البقرة .
^٢ - الآيات من ٣٨ إلى ٤١ من سورة التوبة .

وذلك بمثل قوله تعالى فى سورة التوبة (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . قل هل تترصدون بنا إلا إحدى الحسنين ونحن تترصد بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فترصدوا إنا معكم مترصدون)^١ ومعنى إحدى الحسنين أى أن نغلبكم فى الحروب بانتصارنا عليكم أو أن نستشهد فى سبيل الله فنظفر بالجنة ونعيمها ، وبمثل قوله تعالى فى سورة آل عمران (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون * فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون * يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين * الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنو منهم واتقوا أجر عظيم * الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم)^٢ وبمثل قوله تعالى فى السورة ذاتها (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزاً لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعلمون بصير ، ولئن قتلتهم فى سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون)^٣ وانظر فى الأمر الإلهى الصريح فى

١ - الآية ٥١ من سورة التوبة .

٢ - الآيات من ١٦٩ إلى ١٧٤ من سورة آل عمران .

٣ - الآيتان ١٥٦ و ١٥٧ من سورة آل عمران .

قوله تعالى فى سورة النساء (فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما * وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا)^٣ ويقول الله تعالى بعد ذلك (الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا)^٤

وقد استجاب الله دعاء المستضعفين ، فتمكن بعضهم من الهجرة إلى المدينة وتولى الباقيين منهم فى رعايته ورضاه إلى أن فتح مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة فى السنة الثامنة من الهجرة ، وهو نصر عزيز على أعداء الدين ، فنعم المولى ربنا ونعم النصير .

الدرس العاشر

عون الله للمهاجرين فى سبيل الله تعالى

كانت الهجرة قبل فتح مكة فرضا مفروضا ، وقد أسلم جماعة ولم يهاجروا إلى المدينة ليلحقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل فى شأنهم قوله تعالى فى سورة النساء (إن الذين توفاهم ظالمى أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا) وقد قتلوا مع كفار

^٣ - الآيتان ٤٧ ٧٥ من سورة النساء .

^٤ - الآية ٧٦ من سورة النساء .

مكة فى غزوة بدر واستثنى الله تعالى من هذا الحكم أصحاب الأعذار الشرعية فقال تعالى بعد الآية المتقدمة (إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم بدره الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيفا) ° . وجاء فى تفسير الإمام البضاوى رضى الله عنه أنها نزلت فى جناب بن ضمرة . رضى الله عنه . حمله بنوه على سرير متوجها إلى المدينة فلما بلغ التنعيم أشرف على الموت فصفق بيمينه على شماله فقال : اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايع عليه رسولك صلى الله عليه وسلم فمات . أقول ومن ذلك ندرك أنه مات خارج مكة بقليل ، لأن التنعيم على بعد خمسة كيلو مترات من المسجد الحرام ، فهذا الصحابي الجليل طلب إلى أولاده وهو فى مرض الموت أن يحملوه إلى المدينة قالوا له : إنك ممن عذر الله ، فقال فى همة عالية وحب شديد لله ورسوله لا عذر لى ، فإنى مستطيع واهتدى إلى الطريق ، وقد قال بعض الصحابة الكرام حين علموا بموته فى الطريق : لو كان وصل إلى المدينة ؟ فأُنزل الله الآية المتقدمة مبشرة بقبول هجرته المباركة .

ولنتأمل جيدا فيما وعد الله المهاجرين فى سبيله تعالى من الفرج وسعة الرزق وتدبير أمره وذلك فى قوله الكريم (ومن يهاجر فى سبيل

° - الآيات من ٩٧ إلى ٩٩ من سورة النساء .

الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة) وقد جاء فى تفسير الإمام أبى السعود رضى الله عنه : قالوا : كل هجرة فى غرض دينى من طلب علم أو حج أو جهاد أو نحو ذلك فهى هجرة إلى الله ورسوله .

الدرس الحادى عشر

قتال الأعداء هجرة

جاء فى تفسير الإمام الجميل رضى الله عنه عند قوله تعالى فى سورة النساء (فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا) أنه حين رجع ناس من غزوة أحد اختلف الناس فيهم ، فقال فريق : أقتلهم ، وقال فريق : لا فأنزل الله تعالى قوله الكريم : (فما لكم فى المنافقين فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهتدوا من أضل الله ، ومن يضل الله فلن تجد له سبيلا * ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا فى سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا) قال عكرمة (مولى ابن عباس رضى الله عنهما) : هى هجرة أخرى والهجرة على ثلاثة أوجه : هجرة المؤمنين فى أول الإسلام وهى قوله تعالى : (للفقراء المهاجرين . . .) وقوله تعالى (ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى ورسوله . . .) ونحوهما من الآيات ، وهجرة المنافقين وهى خروج الشخص مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صابرا محتسبا لأغراض الدنيا وهى المرادة ها هنا ، وهجرة عن جميع المعاصى ، قال صلى الله عليه وسلم : المهاجر من هجرة ما نهى الله عنه " .

^١ - الآيتان ٨٨ و ٨٩ من سورة النساء .

الدرس الثانى عشر

المؤمنون والمؤمنات بعضهم من بعض

وذلك أن السيدة الجليلة أم سلمة ، وهى زوج النبى صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين ، قالت لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا أسمع ذكر النساء فى الهجرة . فأنزل الله تعالى فى سورة آل عمران (فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب)^١ .

وإذا أردنا أن نعرف ما هو الدعاء الذى دعوا به ربهم واستجابه لهم من فضله وكرمه فلنقرأ الآيات التى سبقت الآية الكريمة المتقدمة ، قال تعالى فيها (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبواب * الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار * ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيتهم وما للظالمين من أنصار * ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار * ربنا

^١ - الآية ١٩٥ من سورة آل عمران .

وأتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد)^١
وجاء بعد ذلك قوله تعالى : (فاستجاب لهم ربهم . . . الخ) وقد أستند
سیدی الإمام جعفر الصادق رضی الله عنه إلى تلك الآيات المتقدمة وقال
فی فطنته المعروفة : من حربه أمر فقال خمس مرات " ربنا " أنجاه الله مما
يخاف وأعطاه ما أراد ، قيل : وكيف ذلك ؟ فقال : اقرأوا (الذين
يذكرون الله قياما وقعودا) إلى قوله (إنك لا تخلف الميعاد) .

الدرس الثالث عشر

التوكل لا ينافى اتخاذ الأسباب

وكن مولانا رسول الله صلبا لله عليه وسلم سيد المتوكلين على الله تعالى
ولا يبلغ أحد من البشر مبلغ يقينه بربه وثقته فيه واعتماده عليه سبحانه .
وقد أمره الله تعالى بالتوكل فقال تعالى : (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا)
ومع ذلك أتخذ أقوى الأسباب وأحسن الترتيب لمجابهة أعدائه من الكفار
والمشركين . فهاجر هو و أصحابه بعد أن صارت للإسلام قوة بساداتنا
الأنصار في المدينة . وآخى بين المهاجرين والأنصار ، وقاوم بالفريقين
أعداء الإسلام بعد أن أعد لهم ما استطاع من قوة امتثالا لأمره تعالى :
(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله
وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم)^٢ وخرج بنفسه قائدا

^١ الآيات من ١٩٠ إلى ١٩٤ من سورة آل عمران .
^٢ آية ٦٠ من سورة الأنفال

للغزوات التي بلغت ٢٧ غزوة ، وأمر سراياه بالجهاد تحت إمرة أهل الخبرة من أصحابه الشجعان الكرام ، وسار صلى الله عليه وسلم في آخر غزوة غزاها وهي غزوة تبوك في سبعين ألفا إلى الروم في شجاعة منقطعة النظير ، وكان عدد الروم ثلثمائة ألف ، وعاد ظافرا مرهوب الجانب . وكان سيرة لقتال الروم امثالاً لقوله تعالى في سورة التوبة (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)^١ ولصدق المؤمنين في الغيرة على الإسلام والدفاع عنه أيدهم الله بنصره وعونه ، وأنزل لهم جنودا من السماء لا تراها العيون . ويقول تعالى في سورة الأنفال عن العون السماوي الذي كان في غزوة بدر (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان * ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب * ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار)^٢ ثم انظروا كيف يمن الله على المسلمين بالنصر على الأعداء مع قلة عدد المسلمين وعددهم ووفرة الأعداء عددا وعدة وذلك فى قوله تعالى فى سورة الأنفال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا إن الله سميع عليم * ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين)^٣ وتأملوا جيدا فى قوله تعالى فى سورة التوبة (قاتلوهم يعذبهم الله

^١ الآية ١٢٣ من سورة التوبة

^٢ الآيات من ١٢ إلى ١٤ من سورة الأنفال

^٣ الآية ١٧ من سورة الأنفال

بأيديكم ويخزهم وينصرركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله على من يشاء والله عليم حكيم)^١ وتدبروا كيف يعلمنا الله تعالى سنة الحياة وما قدره الله فيها من ابتلاء المؤمنين بالشدائد إذ يقول سبحانه في سورة التوبة بعد ذلك (أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون)^٢ وصدق إمامنا على بن أبي طالب حين قال : لاتنال نعمة إلا بفراق أخرى .

فعلينا إذن أن نتخذ أسباب النصر ، لأن الله تعالى ربط الأسباب بمسبباتها ، وأقام الأسباب لتؤتي ثمرتها بإذنه سبحانه . وقد كان أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه يقول : لايقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقني وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . وما أرق ما قال الشاعر الحكيم:

توكل على الرحمن فى الأمر كله

ولا ترغبين بالعجز يوما عن الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم

وهزى إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزما

جنته ولكن كل شئ له سبب

^١ الآيات ١٤، ١٥ من سورة التوبة .

^٢ - الآية ١٦ من سورة التوبة .

الدرس الرابع عشر

العبرة والاعتبار

قص الله تعالى علينا القصص فى القرآن الكريم وقال فى شأنه فى سورة يوسف (لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الألباب)^١ وقص علينا سبحانه فيما قص ما كان من سادتنا المهاجرين والأنصار . فلنأخذ من قصصهم العبرة للاعتبار ، وما أحوجنا اليوم للاعتبار بهم ، فإن العدو الغاصب لا زال محتلا أرضا عزيزة من بلاد الإسلام ، والدفاع عنها واجب على المسلمين جميعا فى المشارق والمغارب مهما كانت التضحيات والنفقات (وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين) كتب الله للمسلمين النصر العزيز الذى كتبه لأسلافنا الصالحين آمين .

الدرس الخامس عشر

استقرار الإسلام بعد الهجرة

تعرض الإسلام فى أول عهده لمناوأة أعدائه من مشركى العرب بمكة ثم تعرض لمناوأة اليهود ومشركى العرب فجعل الله له بالهجرة إلى المدينة المنورة قوة من أبطال المهاجرين والأنصار وكان أول انتصار لهم على

^١ الآية ١١١ من سورة يوسف

مشركى مكة فى غزوة بدر الكبرى وهى أول غزوات النصر التى تلاحقت ، وكانت غزوة بدر فى السنة الثانية من الهجرة وقد هزت أعداء الدين هزة عنيفة وزلزلتهم حين قتل المسلمون فيها مع قتلهم صناديد قريش ورءوس الكفر . ثم تم النصر بعدها على صناديد اليهود فى غزوات خيبر وبنى النضير وبنى قريظة وبنى المصطلق ثم تم فتح مكة فى السنة الثامنة من الغزو . واستقرالإسلام ثم عم الجزيرة العربية ولم يبق فيها غيره . ثم فتح الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المشارق والمغرب حتى اتصلت بلاد المسلمين من شاطئ المحيط الأطلسي إلى الصين ، ثم انتشر بعد ذلك فى شرق آسيا ودول أفريقيا وظهر الإسلام بفضل الله وعونه على الأديان كلها ، وتعاليت أصوات المؤذنين على المنابر العالية (الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد ألا إله إلا الله أشهد ألا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، حى على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .

وكان استقرار الإسلام فى الأرض من بركات الهجرة وصاحبها عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ، وصدق سبحانه وتعالى إذ يقول فى سورة التوبة (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)^١ . وإذ يقول فى سورة الصف (هو الذى

^١ الآية ٣٢ من سورة التوبة

أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)^١ .

وإذ يقول فى سورة الفتح (هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا)^٢ ألا رضى الله عن ساداتنا المهاجرين والأنصار الذين قام هذا الدين العظيم على جهادهم وتضحياتهم بقيادة أعظم الرسل شأنا وأعمهم رسالة صلوات الله وسلامه عليه ، فخلدهم الله فى كتابه الخالد ووصفهم أروع ووصف بقوله سبحانه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم فى التوراة ومثلهم فى الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرًا عظيمًا)^٣ وهما أنتم أولاً ، ترون من وصفهم هذا أنهم كانوا أسوداً بالنهار وعباداً بالليل ، فجاهدوا أعداءهم بالسيف ، وجاهدوا أنفسهم بالعبادة فاجتمع لهم بذلك هجرتان أخريان إلى جانب هجرتهم من مكة إلى المدينة المنورة فقد علمنا عكرمة رضى الله عنه أن قتال الأعداء بإخلاص النية هجرة . وأن الكف عن المعاصى هجرة أخرى .

^١ الآية ٩ من سورة الصف

^٢ الآية ٢٨ من سورة الفتح

^٣ الآية ٢٩ من سورة الفتح .

الدرس السادس عشر

التاريخ الهجرى

رأينا أثر الهجرة الكبير فى حماية الإسلام ورد كيد أعدائه أن يختار الصحابة الكرام فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حادث الهجرة بداية للتقويم الهجرى . وقد أبرزوا بهذا الاختيار فضل الهجرة للخلف الذين جاءوا من بعدهم .

ولعالم تذكرون أنى قلت لكم فى محاضرة سابقة فى هذه القاعة المباركة إن العرب قبل الإسلام كانوا يؤرخون بالحوادث الهامة كعمام الفيل ، وحرب البسوس ، واستمر ذلك إلى خلافة أمير المؤمنين عمر رضى الله عنه ، وقد جاءه دائن يشكو مدينه الذى تعهد بأداء دينه فى شهر شعبان ولكنه لم يؤد الدين فى الميعاد ، فتساءلوا : أى شعبان ، هذا أو الفات ، أو القادم ؟ فاستشار أمير المؤمنين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اختيار حادث فى الإسلام يؤرخون به ، فاتفقت الكلمة على أن يؤرخوا بحادثة الهجرة إلى المدينة المنورة ، حيث بدأت بعدها وتوالى انتصارات المسلمين على أعداء الدين ، ولئن كانت الهجرة تمت فى شهر ربيع الأول ، فإن أول السنة العربية يبدأ بشهر المحرم ، فبدأوا السنة الهجرية به ، واعتاد المسلمون أن يحتفلوا بالهجرة فى شهر المحرم . وكان الاتفاق على التاريخ الهجرى فى السنة السادسة عشرة أو السابعة عشرة من الهجرة الميمونة .

الدرس السابع عشر

هجرة الخلف

قال صلى الله عليه وسلم : (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية)
وقد بان لنا مما قاله عكرمة رضى الله عنه وسمعتوه أن الهجرة
من مكة للمدينة هي المقصودة بقوله تعالى (للفقراء المهاجرين الذين
اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانه وينصرون
الله ورسوله أولئك هم الصادقون)^١ وهذه الهجرة انقطعت بفتح مكة
وبقائها في أيدي المسلمين ، وبقي بعد ذلك للمسلمين هجرتان .

(أ) هجرة المنافقين : وهي المشار إليها في قوله تعالى (فما لكم
في المنافقين فئتين . . .)^٢ وقد سمعتم ما كان من خبرهم وهم المقصودون
بقوله تعالى (ودوا لو تكفروا كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا
منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا)^٣ فهجرتهم كانت في انحيازهم
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقتال أعدائه معه ، فهذه هجرة لهم في
سبيل الله لأنها في نصر دينه ونصر دين الله قرابة من أعظم القربات ،
وملحق بها الهجرة في طلب العلم الدينى الذى يعلم به المؤمن أحكام الله ،
وكذلك الفرار بالإسلام من ديار الكفر إن تعرض المسلم للأذى ولم يأمن على دينه .

^١ - ٣ الآية ٢٨ من سورة فاطر

(ب) هجرة المعاصي : وهى المقصودة بقوله صلى الله عليه وسلم " المهاجر من هجر ما نهى الله عنه " فيجتنب المعاصي ، ويقبل على الطاعات ، فذلك جهاد للنفس ينوى به المؤمن مرضاة الله تعالى حتى يشملها وصف الصالحين الوارد فى سورة البينة (رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه) وقد شرف الله أهل العلم بوصف الخشية فقال تعالى (... إنما يخشى الله من عباده العلماء)^١ كما قال تعالى فى شأنهم فى سورة الزمر (أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب)^٢ ومما تقدم نعلم ما يلزمنا نحن الخلف من أنواع الهجرة التى يرضى بها الله ورسوله من قتال الأعداء نصراً لدين الإسلام وحماية لأوطانه ، واجتناب المعاصي ، والفرار بعقيدة الإسلام من ديار الكفر إن أودى المؤمن فى دينه .

وفى هذه المناسبة أرانى مضطراً لأن أعيب على بعض المسلمين هجرتهم إلى غير البلاد الإسلامية من أجل نفع مادي على حساب دينهم حيث يخسرون إقامة الصلاة وسائر الطاعات ويتعرضون للمخالفات والشهوات ، وفى بلاد المسلمين بحمد الله متسع للخدمات التى تعود عليهم بالنفع المادي وتقيهم الآفات الشائعة فى البلاد الأخرى . ولا شك أن البلاد الإسلامية أولى بخدماتهم وخبراتهم من غيرها ، ويقول صلى الله

^١ الآية ٢٨ من سورة فاطر .
^٢ الآية ٩ من سورة الزمر

عليه وسلم : المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً ، كما يقول صلوات
الله وسلامه عليه " من لم يحمل هم المسلمين فليس منهم " .
وفقنا الله وإياكم لسعادة الدارين بعونه وتوفيقه ، وأشكر لكم
حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته . ،

١٦ محرم ١٣٩٥

٢٨ يناير ١٩٧٥

حسن كامل المطاوى